مؤتمرات وندوات علمية

الملتقى الأول للآثار في المملكة العربية السعودية

الجهة المنظمة: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني
مكان الانعقاد : الرياض
تاريخ الانعقاد : ١٨-٢٠ صفر ١٤٣٩هـ (٧ - ٩ نوفمبر ٢٠١٧م)
إعداد : **د. فرج الله أحمد يوسف**

عقد في الرياض الملتقى الأول للآثار في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ما بين ١٨-٢٠ صفر ١٤٣٩هـ (٧-٩ نوفمبر ٢٠١٧م)، برعاية كريمة من مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود يحفظه الله، وذلك تحت مظلة (برنامج خادم الحرمين الشريفين للعناية بالتراث الحضاري)، وبمشاركة كل من: دارة الملك عبدالعزيز، ووزارة الداخلية، ووزارة الشؤون البلدية والقروية، ووزارة التعليم، ووزارة الثقافة والإعلام، وجامعة الملك سعود، وجامعة حائل، وجامعة جازان، وشركة أرامكو السعودية.

كان الهدف الرئيس للملتقى هو التعريف بمكانة المملكة العربية السعودية من الناحية التاريخية والحضارية، وإقامة تجمع علمي للمختصين والمهتمين في آثار المملكة العربية السعودية، وتوثيق الأعمال الأثرية الميدانية، والعناية بالتراث الحضاري، وإشراك المجتمع في الاهتمام بالآثار والحفاظ عليها.

شهد الملتقى مشاركة واسعة من الآثاريين السعوديين، إضافة إلى آثاريين عرب، ومن مختلف أنحاء العالم يمثلون نحو ٣٦ دولة. وقد قدم خلال المؤتمر ١٠٣ أبحاث، توزعت على عشرين جلسة عقدت في ثلاث قاعات.

محاور الملتقى

١- آثار ما قبل التاريخ، وقدم من خلاله (١٦) بحثًا.

٢- الرسوم الصخرية، وقدم من خلاله (١٣) بحثًا.

٣- طرق التجارة والحج، وقدم من خلاله (١١) بحثًا.

٤- آثار الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقدم من خلاله (٢٧) بحثًا.

٥- آثار العصور الإسلامية، وقدم من خلاله (٢٧) بحثًا.

٦- الكتابات القديمة والإسلامية، وقدم من خلاله خمسة أبحاث.

٧- الآثار الغارقة، وقدم من خلاله بحثان.

٨- دور نظم المعلومات في التوثيق التاريخي، وقدم من خلاله بحث واحد.

٩- دور الجامعات في الاهتمام بالآثار، وقدم من خلاله بحث واحد.

وجاءت الأبحاث المقدمة في الملتقى تمثل دراسات أثرية ميدانية؛ ما يجعلها مرجعًا مهمًا وتوثيقًا فريدًا لآثار المملكة وتراثها الحضاري.

وإضافة إلى ذلك، عقدت خمس ورش عمل:

- الأولى بعنوان: الآثار في المملكة العربية السعودية، وتحدث فيها خمسة آثاريين.
- والثانية بعنوان: حماية الآثار (الأنظمة والتشريعات والتجارة الدولية)، وتحدث فيها أربعة قانونيين.
- والثالثة بعنوان: دور الإعلام والمواطن في التوعية وتعزيز الهوية الوطنية، وتحدث فيها ثلاثة إعلاميين.
- والرابعة بعنوان: الترميم والتقنيات الحديثة في مجال الآثار، وتحدث فيها خمسة متخصصين في الترميم واستخدام التقنية الحديثة.
- أما الورشة الخامسة فكانت بعنوان: الآثار والمستقبل

وفرص العمل في التراث الثقافي، وتحدث فيها ثلاثة خبراء في الآثار وعلوم المستقبل.

وقد جرى خلال حفل الافتتاح تكريم ١٤٠ مواطنا ومواطنة أعادوا قطعًا أثرية للهيئة أو أبلغوا عن مواقع أثرية.

وشهد الملتقى تدشين عدد من المعارض المصاحبة، في مقدمتها معرض (روائع آثار المملكة العربية السعودية عبر العصور) الذي تنقل بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، واختتم بزيارة لكل من الصين، وكوريا الجنوبية، ومعرض الآثار المستعادة، ومعرض المكتشفات الأثرية الحديثة، ومعرض اهتمام ملوك السعودية وعنايتهم بالآثار والتراث الوطني، ومعرض عن مشروع ترميم محطة سكة حديد الحجاز بالمدينة المنورة، ومعرض هيئة المساحة الجيولوجية، ومعرض الطوابع التذكارية، ومعرض الصور التاريخية، ومعرض رواد العمل الأثري، ومعرض الكتب المتخصصة في مجال الآثار، ومعرض الحرف والصناعات اليدوية، ومعرض الفنون التشكيلية.

وتم توزيع جائزة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري لخدمة آثار المملكة، وهي الجائزة التي أقترحها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز رئيس الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني وتبنتها الهيئة بمشاركة من جامعة الملك سعود، تقديراً وعرفاناً بالدور الكبير والرائد الذي بذله الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري، طوال تاريخه العلمي والمهني، في استكشاف الكثير من المواقع الأثرية في المملكة وإبرازها للعالم، كعمق حضاري، ومكون أصيل في الثقافة الإنسانية.

وفاز بجائزة الرواد من علماء الآثار السعوديين كل من: مؤسسة التراث الخيرية، والشيخ عبدالقدوس الأنصاري، والشيخ محمد بن بليهد، والشيخ حمد الجاسر. رحمهم الله، وأ. د. عبدالله بن حسن مصري.

وفاز بجائزة الرواد من علماء الآثار غير السعوديين كل من: الشيخ عبدالله فيلبي، ومشروع الجزيرة الخضراء.

وفاز بجائزة شباب الآثاريين السعوديين كل من: الدكتور عبدالله بن علي الزهراني، والأستاذ خالد بن فايز الأسمري.

وفاز بجائزة شباب الآثاريين غير السعوديين كل من: روميلو لوريتو من إيطاليا، وجيروم رومر من فرنسا.

وعقد في اليوم الثاني للمؤتمر لقاء مهم ضم أربعة وزراء عرب مسؤولين عن الآثار، تحدثوا في جلسة حضرها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان، وقدم اللقاء أ. د. سعد بن عبدالعزيز الراشد.

وأدار الحوار بين الوزراء الأربعة والحضور: أ. د. زاهي حواس، وزير الآثار الأسبق في مصر، والوزراء هم:

معالي الدكتور خالد العناني، وزير الآثار في مصر، وتحدث عن المشاريع الأثرية في مصر ما بين الاكتشافات في المواقع الأثرية، وتطويرها، وأعمال الترميم، والمتاحف الجديدة التي نشأت والتي تقام الآن. وكيفية اعتماد الاقتصاد الوطني على الآثار، وما حل بقطاع الآثار من تراجع بعد ثورة يناير عام ٢٠١١.

معالي الأستاذة لينا عناب، وزيرة الآثار والسياحة في الأردن، وتحدثت عما يزخر به الأردن من مواقع أثرية عديدة، ودورها في التنمية البشرية، وضرورة اهتمام الأعلام بالآثار، ما يساعد على إبرازها وإشهارها، والتأكيد على ضرورة الاعتماد على التراث الحضاري في الحاضر والمستقبل.

معالي الأستاذة رُلى معايعة، وزيرة السياحة والآثار في فلسطين، وقد تركزت كلمتها على المحاولات الصهيونية لتهويد القدس، وأشادت بما ذكره مدير الحوار أ. د. زاهي حواس من قرار اليونسكو بإعطاء الحق في القدس لفلسطين، وأن المسجد الأقصى موقع إسلامي مقدس للمسلمين وحدهم، وأكدت الوزيرة على أن التاريخ الفلسطيني وارتباط الإنسان الفلسطيني بالأرض، وأنه يوجد في الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧م نحو ٧,٠٠٠ موقع أثري تعود إلى أكثر من ١٠,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر.

وأشارت إلى التنقيبات العشوائية وغير الشرعية

التي يقوم بها الاحتلال ومحاولة اختلاق رواية خيالية، وأن أغلب المواقع الأثرية ليست تحت سيطرة السلطة الفلسطينية ما عدا تلك التي تقع ضمن المنطقة (أ) طبقًا لاتفاقية أوسلو، وأكدت على الأضرار التي حاقت بالمواقع الأثرية في القدس، وفي أنحاء الضفة الغربية جراء جدار الفصل العنصري.

وتطرقت إلى إدراج الخليل ضمن قائمة التراث العالمي لليونسكو، وختمت بحاجة الفلسطينيين للعرب في حماية التراث الديني والثقافي لفلسطين.

معالي الأستاذ مروان أحمد قاسم، وزير الثقافة في اليمن، وتناول في كلمته وضع الآثار اليمنية بعد الحرب التي تشن من قبل الحوثيين ضد الحكومة الشرعية، وقد أدى وقوع عدد من المواقع الأثرية والمتاحف تحت نفوذ الحوثيين إلى تنقيبات عشوائية ونهب للمتاحف وتدميرها، لكن الحكومة الشرعية تمكنت من التواصل مع العاملين في المواقع الأثرية والمتاحف للحصول على تقارير على ما حل بها، وعرّج على تأكيد الحوثيين بأن التاريخ يبدأ من ١٤٠٠ عام فقط لارتباط ذلك بأن ادعائهم السلطة مرتبط بالتراث الإسلامي، لذا فهم يعملون في المواقع الأثرية العائدة لعصور ما قبل الإسلام نهبًا وتخريبًا من التنقيب العشوائي إلى سرقة الآثار وتهريبها، كما تقوم بالعمل نفسه جهات أخرى منها تنظيم القاعدة الذي قام بنهب متحف مدينة أبين الذي تم نهب كنوزه قبل أن تتمكن قوات الحكومة الشرعية من استرداد المدينة، وإعادة حوالي ٥,٠٠٠ قطعة أثرية نهبت منه، كما أشار إلى ما يتعرض له متحف مدينة تعز المحاصرة بعد تعرضه للقصف، وكيف تم نهب بعض المخطوطات المحفوظة فيه.

وأعقب هذا اللقاء جلسة علمية تولى إدارتها معالي أ. د. خليل بن إبراهيم المعيقل. مدير جامعة حائل، وتحدث فيها أولاً أ. د. علي بن إبراهيم الغبان. المشرف على برنامج خادم الحرمين الشريفين للعناية بالتراث الحضاري، وتطرق إلى الاكتشافات الأثرية الحديثة بالمملكة العربية السعودية، ومنها:

- اكتشاف ناب فيل في بحيرة قديمة، يرجع إلى حوالي ٣٥٠,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر، والعثور على الإصبع الوسطى لإنسان يرجع تاريخه إلى حوالي ٩٠,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر، والعثور على أكثر من ٢٠ حطاماً لسفن غارقة، ومنها حطام سفينة أمام ساحل مدينة أملج على ساحل البحر الأحمر، والعثور على كنز من مسكوكات الممالك العربية قبل الإسلام في الأخدود بنجران يحتوي على أكثر من ١٠,٠٠٠ مسكوكة، والكشف عن مسجد في الخرج يعد الثالث في عصره بعد الحرمين الشريفين في زمانه (الإسلامي المبكر).
- العثور على ١٠ حبات من اللؤلؤ في موقع الدوسرية بالمنطقة الشرقية، وهي ترجع لحوالي ٦,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر
- العثور على مستوطنة في قرية شرماء شمال غربي المملكة ترجع للعصر البرونزي، حوالي ٧,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر.
- ومنجم ومستوطنة العبلاء جنوب غربي المملكة،
- قنوات مائية تحت الأرض في دومة الجندل بشمالي المملكة.
- أما الكتابات والنقوش والرسوم الصخرية فقد عثر في آبار حمى على نقش يذكر لأول مرة قبيلة (طسم) التي كانت موجودة في وسط الجزيرة العربية قبل قبيلة حنيفة، ونقش يشير إلى قدوم مسؤول من مملكة عُمان ليزور ملك نجران، ونقش عربي شمالي مؤرخ بسنة ٧٤م يؤكد الترابط بين جنوب الجزيرة العربية وشماليها.
- كما عثر على صور أفيال تؤكد أن الطريق الذي سلكته حملة أبرهة على مكة لم تسر عبر السراة بل عبر الطريق الممتد من نجران إلى آبار حمي إلى آبار مريغان، ثم بيشة ثم مكة المكرمة.

وأخيرًا تم الكشف عن مقبرة نبطية لم تنبش في الحجر (مدائن صالح) وعثر بها على العديد من الرفات البشرية.

ثم ألقى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز كلمة جامعة تحدث فيها عن كتابه: (الخيال الممكن)، وكيف بدأ سموه بالاهتمام بالبعد الحضاري للمملكة العربية السعودية برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وكانت البداية بالدرعية التاريخية، ثم العلا، ثم تأسيس مؤسسة التراث، وبعدها رئاسته للهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني منذ سنة ٢٠٠٠م، واهتمامه بمن كانوا معه في تلك الرحلة ومنهم: أ. د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري، وأ. د. علي بن إبراهيم الغبان، وأ. د. سعد ابن عبدالعزيز الراشد.

ثم تحدث سمو الأمير عن رؤيته للأدلة الشرعية والواقع الأثري باستقراء التاريخ الحضاري العربي وارتباطه بدعوة التوحيد، إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وأراد الله أن يكون الإسلام هو آخر دين شامل للبشر، واختار الله مكة المكرمة لكي يوضع بها أول بيت للناس.

يوجد حول مكة المكرمة الكثير من المواقع الأثرية التي تعود للعصر الحجري القديم والتي يعود أقدمها إلى حوالي ٣٥٠,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر، وأحدثها إلى حوالي ٧,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر، وقد أكدت الدراسات الآثارية الحديثة أن معابر الهجرات الأولى كانت في السعودية واليمن ودول الخليج.

وقد أكدت دراسات مشروع الجزيرة الخضراء أن الجزيرة العربية كانت خضراء وظلت كذلك حتى شهدت التصحر قبل ١٠ آلاف سنة قبل الوقت الحاضر، ويتطابق هذا مع الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا، وحتى يسير الراكب بين العراق و مكة لا يخاف إلا ضلال الطريق) .

وضع مسار التاريخ على أساس التوحيد منذ عاد وثمود، وذلك استعدادًا لأعظم مشهد وهو نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم وتكليفه بالرسالة للبشرية كافة بعد ٢٤ قرنًا بينه وبين إبراهيم عليهما السلام فكان أن ظهرت خلالها الممالك العربية المبكرة، والوسيطة، والمتأخرة.

وتطور اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام وامتلاك ناصية البلاغة واعتزاز العرب بلغتهم التي تطورت على مدى ٢٠٠ سنة قبل ظهور الإسلام، وكان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

إن دعوة إبراهيم عليه السلام لم تكن لمكة المكرمة وحدها بل كانت لكل الجزيرة العربية، ولم تكن مقتصرة على عهده فقط: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

وبعد الإسلام، قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتوحيد الجزيرة العربية ونشر رسالة التوحيد، وفيما بعد نشأت حالة من الشتات السياسي حتى قامت الدولة السعودية ببناء أركان كيان راسخ أساسه الإسلام.

إن الله سبحانه وتعالى اختار أرض الجزيرة العربية لرسالته السامية، وهي المكان الذي قامت به الحضارات التي كانت بمثابة تهيئة للإسلام. فلا بد أن نعيد التفكير في من نحن؟

قال الرسول ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وختم سمو الأمير رؤيته بالقول: إن شعب هذه الأرض قادر على بناء مستقبل زاخر بالخير على أرض تقاطعت عليها الحضارات.